



دراسات في الفن

الفن والحرية

للأستاذ عزيز أحمد فهمي



وأكل الناس من غير شك هو الذي يرقى في معراج التطور بحسه وعقله وخلقه ، وأقل منه كلاً من يرقى في هذا المعراج بناحيتين فقط من نواحيه الثلاث ، والأقل كلاً من يرقى في هذا المعراج بناحية واحدة . وأغلب الناس غير متوازنين ، بل إن أغلبهم تنصقل في نفسه ناحية واحدة فقط من هذه النواحي فتضيء ماحوله ولكن بلون نورها هي ، بينما يتخافت إلى جانبها النوران اللبثتان من الناحيتين الآخرين . وهكذا كان في الناس فنانون لا صلة لهم بالمقل ولا بالعلوم إلا ما يرد عنهم اتهام الناس إليهم بالجنون ، أو بمض هذا الاتهام ، بل إن منهم من يرميه الناس بالجنون ، وفنانون لا صلة لهم بالمقل ولا بالخلق ، ومنهم من يرميه الناس بالفسق إلى جانب الجنون . وهكذا أيضاً كان في الناس علماء لا صلة لهم بالحس فهم ياردون ، وعلماء لا صلة لهم بالحس ولا بالخلق ، ومنهم من يرميه الناس بالجشع إلى جانب البرود . وهكذا أخيراً كان في الناس فضلاء تنبثق الفضيلة من أنفسهم فينالها من بكرهم كما نصيب من يحبهم لا يحبسونها ولو أودوا ، فلام عقلاء يحذرون كما يحذر غيرهم من العقلاء ، ولا هم يحسون الشرف فيما يحسون ، وهؤلاء من بين أصحاب الفضيلة هم الأتقياء الزاهدون المضحون للظالمين .

وكل فرد من هؤلاء الأفراد الخارقين في نواحيهم الخاصة ، والمتسامين فيها على مستوى الجمهور يعتبر عبقرية في ناحية وإن أحصت عليه الإنسانية النقص في الناحيتين الآخرين ، فارتال العبقرية في نظر الناس ضرباً من ضروب الشذوذ ، أو هي في الحق كذلك ما دامت تنحدر إحدى نواحيه فقط

فإذا أنكرنا على الإنسان أمانته وطلباؤه بأن يرى خير الإنسانية في كل عمل من أعماله وعلى الخصوص في تلك الأعمال التي تتصل بنيره وتؤثر فيه فإتلا لا تملك إزاء الفنانين إلا أن نطالبهم بأن تتضافر نواحيهم الثلاث في إنتاجهم الفني كما تطلب

مظاهر الحياة في الإنسان ثلاثة ، يرجع إليها كل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وحركات وسكنات . وهذه المظاهر هي الحس والعقل والخلق . والإنسان الوسط يستطيع أن يلحظ في غيره بسهولة تامة النقص الذي يصترى ناحية أو أكثر من هذه النواحي الثلاث . فيحكم عليه بأنه بارد الحس ، أو ناقص العقل ، أو معوج الخلق . وليس يهتما ما يقال من أن الحكم في هذه الأحوال لا يكون إلا تقديرية ، وإنما الذي يمتينا هو أن الحس والعقل والخلق موجودة في كل إنسان ، وإن تفاوتت وضوحها ، ووضوح أنجاهاتها في الناس ، وإن اختلفت معاييرها فليس ينفي وجود القمع أن يكيله ناس بالأردب ، وأن يزنه ناس بالفتنار . . .

ولما كان الكمال البشري يستدعي رقي الإنسان في نواحيه جميعاً بحيث تنسجم هذه النواحي فيه وتتوازن وتتضافر فتخطو به خطوة جديدة في طريق التطور والارتقاء تلبية لنداء الطبيعة التي تريدها ، ثم أن يكون كل عمل من أعمال الإنسان سادراً عن حس مرتق ، وعقل مرتق ، وخلق مرتق . فإذا اختلف التوازن بين الحس والعقل والخلق في أي عمل من أعمال الإنسان طاب هذا الاختلال العمل وأنقص قدره .

ونحن إذا نظرنا إلى هذه النواحي الثلاث رأينا لكل ناحية منها طريقاً خاصاً من طرق الرق الإنسانية تسمى فيه . فالحس طريقه الفن ، والعقل طريقه العلم ، والخلق طريقه الفضيلة

ولست أقهر إنساناً على أن يدخل في أمي ، ولا على أن يتدلى
بمثلي الأعلى ، ولكني أقولها بعد تأمل أعتقد أنه قد يكفي متمجلاً
مثلي من أبناء هذا العصر المجول ... كلمة فيها من القدم رزاة
الشيخوخة ومن الأبدية عنفوان الشباب ، وهي أن المثل الأعلى
الذي رسمه الإسلام للإنسان والصورة النقية التي رسمها للإنسانية
هما صورة أرقى حتى في أرق صورة للحياة ، فإنا كان عبثاً ما قال الله
من أن محمداً هو خاتم النبيين والمرسلين ، وأن الإسلام هو ختام
الاديان . ونحن إذا أنعمنا النظر في الإسلام رأينا أنه يشمل كل
الاديان الساعية إلى الله ، وأنه يرى الله مما أحلقه به الناس من
الباطل والزيف . وإذا صدق هذا صدق معه أن أسمى المثل الإنسانية
العليا ليس إلا بعض المثل الإسلامي الأعلى ، وعلى هذا الأساس
يمكننا أن نجعل الإسلام حكماً على أعمال الإنسان الروحية كلها
سواء منها الحسية والعقلية والخلقية ، فإذا لم يرض بعض الناس
عن الإسلام حكماً فلهم أمثالهم العليا يحكمونها كما يشاؤون
فيما يشاؤون فكل ما يملكه عاجز ضيف مثلي في مقام كهذا
هو أن يقول لهم : قبل أن تستبعدوا الإسلام تدبروه .

فإذا تدبروه فهم من مسلمون . فإذا أسلموا فهم أمة وسط ،
وما داموا أمة وسطاً فعليهم أن يراعوا العقل والخلق في فهم
فيجعلوا لها فيه نصيباً ، وعليهم أن يراعوا الحس والخلق في علمهم
فيجعلوا لها فيه نصيباً ، وعليهم أن يراعوا الحس والعقل في فضائلهم
فيجعلوا لها فيها نصيباً . وهذا يحدث عفو خاطرهم بدون تدبر
وبدون اختيار إذا كانوا مسلمين . فالإسلام هو دين الفطرة ،
كما أن الفن الصحيح السليم هو فن الفطرة ، وكما أن العلم النافع
هو علم الفطرة الذي يلمه الله الناس سواء أكانوا أميين أم كانوا
قارئین كاتبين ، وكما أن الخلق القويم هو خلق الفطرة الذي يصدر
عن الإنسان عفواً من غير تدبير ومن غير اختيار

وبعد أن رأينا للفطرة هذا الجلال وهذا الخطر ، فإنه قد يمارضنا
هنا سؤال له محل من التفكير ، فقد يقول لنا قائل : أليس من
فطرة الإنسان أن يزرع أحياناً إلى ما تستنكره الأخلاق ، وإلى
ما يزور عنه العقل ، فإذا لبى هذا النزوع بالفن كان فنه فطرياً ،
ولكنه حرام ، ألم يكن متمشياً مع الإسلام الذي وإن كان دين
الفطرة فهو يرسم قيوداً ، ويقم من الأخلاق حراساً على هذه

ذلك من العلماء ، وكما نطلب ذلك من أهل الفضيلة . قالن أو أكل
الفن هو ما أرضى العقل والخلق إلى جانب ما يرضى الحس ، كما أن
العلم أو أكل العلم هو ما أرضى الحس والخلق إلى جانب ما يرضى
العقل ، وكما أن الفضيلة أو أكل الفضيلة هي ما أرضى العقل
والحس إلى جانب ما يرضى الخلق

هذا إذا راعينا أن الفنون والعلوم والفضائل هي أهداف
الإنسانية التي تلج في سبيل الوصول إلى استكمالها موحدة منسجمة
متزنة . فإذا لم ندق كل التدقيق في هذا ، فإنه يجوز منا أن نبيح
للفنان أن يحاول السير في طريقه بالحس وحده ، وللعالم أن يسير
بالعقل وحده ، وللرجل الفاضل أن يسير بالخلق وحده .

ولكن للإنسانية مثلاً عالياً تنزع إليه وتريد أن تلحقه وإن
اختلفت صورة في أذهان الناس . ونحن إذا ما حاولنا أن نستخلص
من بين هذه الصور الصورة التي نعتقد أنها أصدق صور الكمال
فإننا عندئذ سنستطيع أن نتصور إلى جانبها صورة للإنسانية
تكون هي أقرب صور الإنبيان من الكمال ، ويكون هذا تبعاً
لدى ما تحققه صورة الفرد من نواحي الكمال المطلوبة في صورة
الإنسانية الكاملة . وسنرى كيف يمكن أن يتم التوازن بين حس
الإنسان وعقله وخلقته في هذه الصورة العالية التي نكتشفها . وسنرى
هل يتم هذا التوازن إذا كان للإنسان من حسه ومن عقله ومن
خلقته مقادير متساوية ، أو أن هذا التوازن يمكن أن يتم باختلاف
في مقاديرها لاسم في بعضها وخفة في بعضها أو لضرورة تستوجب
بعضها ولجواز يمكن به الاستغناء عن بعضها في بعض الأحيان .
سنختلف .

فقد اختلف الناس في هذا منذ أحسوا ، ومنذ عقلا ، ومنذ
كانت لهم أخلاق ، وسيظلون مختلفين في هذا إلى أن يشاء الله
فيكونوا أمة واحدة ، وهم الآن أمم . ولكن أمة منهم مثل ،
وكل أمة منهم تنزع إلى تحقيق مثلها جادة حيناً ومتشككة حيناً ،
ومتناومة في أغلب الأحيان .

فإذا سألني سائل عن أمي ، ومثلي الذي أنزع إليه مؤمناً به ،
فأنا من أمة محمد . الفن عندي ما يحقق المثل الأعلى الذي رسمه محمد
بدينه للحياة ، والعلم عندي هو ما يحقق هذا المثل ، والخلق عندي
ما يتفق وروح الإسلام .

فإذا لم يتيسر هذا لرجال الإنسانية عفواً فإن الإرادة كفيلة بتحقيقه . ولست أقصد بالإرادة أن يعترف الفنان أن يحقق في فنه الأخلاق الفاضلة ، ونفسه بعيدة عن الأخلاق الفاضلة . فيخرج فنه متكلفاً سخيفاً بشعر كل من يتصل به بأنه فقد ميزته الأساسية الأولى ، وهي أن يكون تلبية لنداء الطبيعة والفطرة ، وإنما الذي أقصده هو أن يبدأ الفنان بتحقيق النسيلة في نفسه هو . فإذا أبدع فناً بعد ذلك كان الفن صورة نفسه ، وكان الفن قاضاً

وطبيعة التطور والارتقاء تطالب الفنانين بهذا ، كما أنها تطالب به العلماء ، وكما أنها تطالب به أصحاب الأخلاق والفضائل . ذلك أن الحياة الروحية للإنسان تريد أن تسغو وأن تتقدم الخطى إلى الأمام ، وطريقها إلى هذا الرقى هو نفوس الناس أنفسهم ، وما دام في الإنسان إرادة فلا بد من أن يكون لهذه الإرادة لزوم في تحقيق التطور والارتقاء بدليل أنها لا تزال موجودة في نفس الإنسان ، وأن الإنسان لا يزال يمارسها في كل أعماله تقريباً ، وما دام الأمر كذلك فإنه قد حق علينا أن نريد ترقية أنفسنا ، ثم أن نعمل على هذه الترقية . أما الإرادة فأمرها بيدنا ، وأما العمل فطريقه التدريب ، وكما أن للعقل تدريباً يساعده على بلوغ العلم ، وكما أن للخلق تدريباً يساعده على بلوغ الفضيلة ، فإن للحس تدريباً يساعده على بلوغ الفن !

وقد ارتضى كل فنان لنفسه مثلاً أعلى يريد أن يرقى إليه وأنا اخترت الإسلام من هذه المثل لمن يمجهم اختياري .

أما أولئك الذين لا يريدون أن يرقوا فلهم أن يعبدوا بنفهم وبعلمهم ، وبأخلاقهم ما شاءت لهم حرية التأمل الضال .

عزير أحمد فريسي

القيود ، وجوابنا على هذا السؤال هو أن النزوع بالنزوع إلى ما تنكره الأخلاق وما ينكره العقل ليس نزوعاً فطرياً ، وإنما هو نزوع فيه شيء من النقص يعترى صاحبه إذ ينسى غيره ، وإذا نزوع بالفن إلى تلبية إحساسه والتعبير عنه ، فهو بهذا الفن يرضى نفسه وحدها ، وفي ساعة عاجلة من ساعات حياته هو ، فهو لا يحس بمستقبله ولا يفكر فيه ، ولا يحس صلته بغيره ولا يفكر فيها ، ولا يحس أثره في غيره ولا ينكر فيه

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن هذا الضرب من الفن ... فن ، ولكنه فن جامع ينظمه صاحبه من حبات نفعه ليرضى به هو وحده . ونحن إذا تأملنا ألوان الفن التي ينكرها العقل لم نجد غير الخرافات الفنية ، وهي لا تؤذى الإنسانية في شيء إلا إذا حاول فنان خداع متع بالحيلة أن يحمل الناس على أن يؤمنوا بأنها حقيقة واقعة ، ولم يظهر في الدنيا فنان من هؤلاء إلا وخرج بخداعه عن دائرة الفن إلى دائرة النصب والاحتيال . وإذا تأملنا ألوان الفن التي ينكرها الخلق لم نجد إلا لما مات تعرض لنواح من الحياة يكاد يمر بها الناس جميعاً ، ويكادون يتذوقونها جميعاً ، ويكادون يستطيعون أن يعبروا عنها جميعاً تمييزاً لا يقل صدقاً ولا روعة عما يعبى به الفنانون عنها . فإن لم يتأت للجمهور الناس بالفعل التعبير عن هذه النواحي المتبذلة من الحياة التي يتصف الفن الإسلامي عنها ، فهم يستطيعون هذا التعبير بالقوة . وهذا هو ما يفرينا بالضى في الحرص على اتباع الإسلام حتى في الفن ؛ فهذا الذي نخسر من الفن بهذا الحرص نأفه وهين مادام جمهور الناس يستطيعونه ، والفنان يطلب منه شيء أكثر مما يطلب من عامة الناس ، وهو الكائن إلى الناضج الحياة التي يتوقع منه الناس أن يكشف لهم بإحساسه الرفيف من حقائق الحياة ومباهجها وجمالها ما لا يستطيعون هم أن ينتهوا إليه بحسهم ، كما أنهم يحبون من علمهم أن يهدوهم من حقائق الحياة ومنافعها إلى ما يمجزون لهم عن أن يصلوا إليه ، وكما أنهم يحبون من الهداة الأتقياء ذوي الفضل أن يرسموا لهم ما ينبغي أن يكون ، وما ينبغي ألا يكون وما أجل هذا الذي يجتمع له هذا كله فيكون هادياً بفضائله وعلمه وفنه .

مجموعات الرسائل

تباع مجموعات رسالة مجلة بالأثمان الآتية :

السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و ٧٠ قرشا كل من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة في مجلدين . والمجلد الأول من السنة السابعة

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في الداخل وخمسة قروش في السودان وعشرون قرشا في الخارج من كل مجلد